المسلم بين الإستقامة وأسباب الإنحراف

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 22 صفر 1434هـــ الموافق لـــ 4 جانفي 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

المسلم بين الإستقامة وأسباب الإنحراف

معاشر الإخوة الكرام،

من فضل الله علينا أنّ الله فطرنا على الإسلام، وذلك في عالم الذّر، أي يوم قبل الخلق ، قال الله تعالى:

" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿ 172 ﴾ " سورة الأعراف.

قال الضّحّاك: (**أخبر سبحانه أنّه استخرج ذريّة بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم، أنّ الله ربّهم ومليكهم وأنّه لا إله إلاّ الله**).

قال ابن عبّاس: { **إنّ الله خلق آدم، ثمّ أخرج ذرّيّته من صلبه مثل الذّر، فقال لهم: (من ربّكم ؟)، فقالوا: (الله ربّنا)، ثمّ أعادهم في صلبه، حتّى يولد كلّ من أخذ ميثاقه، لا يزاد فيهم ولا ينقص إلى أن تقوم السّاعة** }.

وهذا ما رواه البخاري عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال:

{ **مسح الله عزّ وجلّ ظهر آدم، فأخرج ذرّيّته كالذّر بأرض يُقال لها دَحْنَا قريبة من مكّة، فاستخرج من كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة كالذّر، ثمّ أشهدهم على أنفسهم: (ألست بربّكم؟)، قالوا: (بلى)** }.

ودلّ على ذلك حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، روى البخاري عن أبي هريرة، قال: (**قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " كلّ مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانِه "**).

يولد الولد وهو موحّد لله تعالى، يحبّ الإحسان والحياء والصّدق والأمانة والعفّة.

يقول ابن تيميّة: (**ونحن إذا قلنا أنّه وُلِد على فطرة الإسلام أو خُلِق حنيفًا، فليس الُمراد أنّه حين خرج من بطن أمّه يعلم هذا الدّين، فإنّ الله أخرجنا من بطون أمّهاتنا لا نعلم شيئًا، ولكنّ فطرته مُقْتَضِيَةٌ موجبةٌ لدين الإسلام ولمعرفته ومحبّته. ومن ظنّ أنّ البشر خُلقوا خالين من المعرفة والأفكار، من غير أن تكون الفطرةُ تقتضي واحدًا منهما، فهذا القول فاسدٌ**).

1- لكنّ هذه الفطرة السّليمة الّتي تحبّ التّوحيد، ومستعدّة لقبول العقائد الصّحيحة والنّفور من العقائد الفاسدة والسّلوكات القبيحة، لها أعداء كثر، والّتي ينبغي أن نحتاط لها، وأوّل الأعداء شياطين الإنس والجنّ.

روى مسلم في صحيحه: **قال صلّى الله عليه وسلّم يقول الله تعالى: { إنّي خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشّياطين عن دينهم، وأمرهم أن يشركوا بي، ما لم أنزل به سلطان }.**

قال تعالى:

" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿ 112 ﴾ " **سورة الأنعام.**

وهؤلاء يلقي بعضهم إلى بعضٍ القول المزيّن المزخرف، الّذي يغترّ به سامعه من الجهلة تأمره.

يزيّنون العلاقات المشبوهة، يزيّنون المال الحرام بالرّشوة والرّبا وبيع المخدّرات.

وشياطين الإنس كثرٌ، الّذي يفتح مخمرةً من شياطين الإنس، والّذي يفتح مرقصًا من شياطين الإنس، والّذي يبيع اللّباس غير المحتشم للنّساء من شياطين الإنس، والّذي يشجّع الغناء من شياطين الإنس، والّذي يثير الشّبهات حول الإسلام من شياطين الإنس، كلّ هؤلاء خطرٌ على الأمّة وعلى شبابنا وشابّاتنا.

2- من أعداء الفطرة الغفلة عن الله:

" حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿ 99 ﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿ 100 ﴾ " **سورة المؤمنون.**

أليس بغافلٍ من يترك صلاة الجماعة، أليست بغافلةٍ من بلغت 30سنة و لم تحتجب بعد، أليس بغافلٍ من لم يحضر حلقات الذّكر والعلم.

" . . . نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . . . ﴿ 67 ﴾ " **سورة التّوبة.**

" وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ 19 ﴾ " **سورة الحشر.**

وهذه الغفلة بالبعد عن الصّلاة وذكر الرّحمان، ولذلك أمرنا الله فقال:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿41﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿42﴾ " **سورة الأحزاب.**

وفي الحديث الصّحيح:

(مثل الّذي يذكر ربّه والّذي لا يذكره كمثل الحيّ والميّت).

3- والأمر الثّالث مصاحبة رفقاء ورفيقات السّوء.

" وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿27﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿28﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿29﴾ " **سورة الفرقان.**

ذلك الشّاب الّذي اختار صاحب سوءٍ، يأتي يوم القيامة نادمًا على اختياره، ولو اختار أهل الصّلاح لَصَلُحَ أمره في الدّنيا والآخرة، ولكنّه اختار من يعاقر الخمرة، اختار من يعاكس الفتيات في الشّوارع، اختار من يسهر اللّيالي.

4- من أخطر الأشياء على الشّباب والشّابّات التّقليد الأعمى، نبدأ من تسريحة الشّعر إلى تقليد المغنّين والمغنّيات واللاّعبين، إلى حبّ طريقتهم في المعيشة، إلى اللّباس الفاضح للنّساء، تقليدًا لفلانةٍ وعلاّنةٍ، إلى اتّخاذ الخلاّن، وارتكاب المنكرات باسم الحبّ والغرام، وكل ذلك تقليدًا للغرب والشّرق الّذي انحرف على كتاب الله تعالى:

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿104﴾ " **سورة المائدة.**

واحدٌ يقول لك الآباء، وواحدٌ يقول لك المجتمع كلّه هكذا الخ ...

ولقد حذّر نبيّنا أمّته من التّقليد الأعمى.

روى البخاري من حديث أبي سعيد، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:

{ لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ، حتّى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه، فقلنا: (يا رسول الله اليهود والنّصارى؟)، قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (فمن ؟) }.

5- وأخطر ما يضلّ شبابنا عن دين الفطرة هم المترفون، والّذين ذكر الله فيهم وعيدًا شديدًا في الدّنيا والآخرة، وهم قومٌ لا يهمّهم إلاّ جمع المال، ويستندون إلى أموالهم وأعوانهم في الحفاظ على أموالهم ومتاعهم ومناصبهم.

" **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿ 41 ﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿ 42 ﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿ 43 ﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿ 44 ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿ 45 ﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴿ 46 ﴾** " **سورة الواقعة.**

" **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ 34 ﴾** " **سورة سبأ.**

" **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿ 116 ﴾** " **سورة هود.**

هؤلاء المترفون لا تهمّهم أخلاق النّاس، ولا يهمّهم إفساد النّاس. المهمّ عندهم جمع المال، وذلك بفتح الحانات والمراقص وبيع الخمور والمخدرات، وإقامة الحفلات الماجنة باختلاط الذّكور والإناث.

والله تعالى شدّد لهم العقاب في الدّنيا والآخرة، ففي الدّنيا قال تعالى:

" **فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿ 12 ﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿ 13 ﴾** " **سورة الأنبياء.**

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله،

ومن حارب هؤلاء بما أوتي، فإنّه يسعى للحفاظ على شبابنا وشابّاتنا.

– فلندفع الغفلة بالإستئناس بذكر الله تعالى.

– ولنصاحب أهل الأنوار والعارفين بالرّحمان.

– ولا نلتفت إلى موائد النّجاسات والجيف من تقليد ضلال أهل الكفر والعصيان، سواءًا كانوا نصارى أو علمانيّين.

– ولا يكون لأهل الضّلال والزّندقة من الهِمَّة والحماسة لضلالهم، ما نفتقده من الجهد والبذل والعطاء للحقّ والهدى الّذي ندعو إليه وننتسب له.

فإنّ الباطل وأهله لن تكون لهم قدمًا راسخةً في المجتمع، إلاّ بخنوع وفشل وانزواء أهل الهدى والأنوار، كأنّ لسان حالنا ينطق بقدريّتنا وما نحن بقدريّة.

" . . . **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . . . ﴿ 11 ﴾** " **سورة الرّعد.**

ويقول تعالى: " **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿ 11 ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ 12 ﴾** " **سورة الفجر.**

وقوله تعالى: " **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ 69 ﴾** " **سورة العنكبوت.**

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين.
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين.
اللّهم إنّا نسألك حُبّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك.
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك.
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة.
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا.
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.